

(وكانت لجنة بيل قد اعترفت ان نفقات الامن في فلسطين ارتفعت من ٨٦٢ الف جنيه لعام ١٩٣٥ الى ٢٠٢٢٣٠٠٠ عام ١٩٣٦) . ان حملة الارهاب هذه وخصوصا المحاولات التي بذلت لقطع الصلة بين الثوار وبين القرى ، أدت الى انهك الثورة . وجاء استشهاد عبد الرحيم الحاج محمد في اذار من ١٩٣٩ بمثابة ضربة قاصمة للثورة اذ فقدت واحدا من أكثر القادة الشعبيين الثوريين شجاعة وحكمة واستقامة ، واخذت القيادات المحلية ، بعد ذلك ، تنهار وتغادر ميادين القتال ، ولا شك ان التقارب الفرنسي البريطاني عشية الحرب الثانية قد لعب دوره في محاصرة الثوار . فقد استسلم عارف عبد الرزاق مع بعض اتباعه للفرنسيين بعد أن انهكه التشرد والجوع ، وقلت القوات الاردنية القبض على يوسف ابو دره وسلمته للبريطانيين فاعدموه . وأدى الارهاب في القرى الى خشية من دعم الثوار وبدهم بالذخائر والطعام ولا شك ان انعدام الحد الأدنى من التنظيم قد حال دون القدرة على تجاوز هذه المعارك .

لقد أرجع الحزب الشيوعي الفلسطيني انذاك أسباب فشل الثورة الى خمسة أسباب رئيسية (٩٥) . غياب القيادة الثورية ، فردية قادة الثورة وانتهازيتهم ، عدم وجود قيادة مركزية لقوات الثورة ، ضعف الحزب الشيوعي الفلسطيني ، عدم ملائمة الوضع العالمي . وهذه الأسباب في مجملها صحيحة ، ولكن يجب أن يضاف اليها تقرب الحزب الشيوعي الى زعامة الحاج امين الحسيني الذي كان يراه « منتميا الى أكثر أجنحة الحركة الوطنية تطرنا في العداء للاستعمار » ويرى اعداءه « اقطاعيين خونة » (٩٦) . مع العلم ان جماعة المفتي لم تتوقف على الاطلاق في تصفية عناصر اليسار التي كانت تحاول التقليل في اوساط العمال . وكان اليسار الشيوعي ، بالإضافة الى ضعفه ، غير قادر على الوصول الى الريف . كان متركزا في بعض المدن ، وكان قد أخفق في تعريب الحزب كما اوصى مؤتمر الكومنترن السابع ، ولم يكن هو الآخر قد قرر اهدانا واضحة للقتال ، وكان ما يزال ضحية للنظرة القاصرة لمسألة الوحدة العربية ، ولعلاقات النضال القومية في الوطن العربي التي كان لها انعكاسات تنظيمية . ويبدو ان الخلل الرئيسي في هذه الهزيمة كان يكمن في

تلك الثغرة الكبيرة الناشئة عن الحركة السريعة للمجتمع في فلسطين ، الذي كان ينقلب بعنف شديد كما قلنا ، من مجتمع زراعي عربي الى مجتمع صناعي يهودي ، فذلك كان علس وجه التحديد السبب الذي غيب البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة العربية عن لعب دورها التاريخي في الحركة الوطنية الفلسطينية انذاك ، واتساح للزعامة الإقطاعية الدينية فرصة تزعم هذه الحركة لفترة طويلة دون منازع . ويضيف الدكتور عبد الوهاب الكيالي أسبابا أخرى مهمة بقوله : « ان التعب من القتال والضغط العسكري المتواصل والامل في أن تتحقق بعض جوانب الكتاب الأبيض ، بالإضافة الى معاناة العجز في الأسلحة والذخائر ، كل ذلك قد أسهم في عرقلة استمرار الثورة ، ثم ان اقتراب العالم من حافة الحرب العالمية الثانية حمل الفرنسيين على جمع مقر رئاسة الثوار في دمشق قمعاً تاماً » (٩٧) . ويمكننا ان نضيف الى ذلك كله عاملين هاميين متداخلين يمكن الحديث عنهما معا لانهما لعبا دورا بارزا في اجهاس الثورة ، وهما موقف شرق الاردن ممثلا بموقف النظام العميل الذي كان يتزعمه الامير عبد الله انذاك ، والنشاط الذي قام به عملاء الثورة المضادة في الداخل على هامش النشاط الارهابي الذي شنته القوات البريطانية والقوات الصهيونية .

كان حزب الدفاع الذي يتزعمه راجب النشاشيبي يلعب دور الممثل الشرعي لنظام شرق الاردن العميل داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، ولعل هذا الارتباط كان نوعا من التموهية بسبب عدم قدرة ذلك الحزب على كشف علاقة العمالة التي كانت تربطه عمليا بالاستعمار البريطاني وسط معركة كانت موجهة بالاساس ضد ذلك الاستعمار ولذلك فقد كان الارتباط بالنظام الشرق الاردني نوعا من التموهية المقبول من الطرفين . كان حزب الدفاع عبارة عن حشد صغير من أفندية المدن يمثلون بالدرجة الاولى مصالح البورجوازية الكومبرادورية الصاعدة والتي بدأت تكشف ان وجودها ونموها رهين بارتباطها ليس فقط بالاستعمار البريطاني ولكن ايضا بالحركة الصهيونية التي كانت تسيطر على عملية التحول الصناعي للاقتصاد الفلسطيني ، وهذا الموقع الطبقي هو الذي جعل تاريخهم يتلخص بانهم « تعاونوا مع الاحتلال اداريا ، ومع الصهيونية تجاريا ، وباعوا الاراضي الى اليهود